خطر على الإسلام وضعف المسلمين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

خبرت كثيراً من الهيئات الاصلاحية، فوجدت فيها نوعاً من الناس يشترك فى توجيهها مع أنها لم تنشأ إلا لتطهيره هو أو تطهير المجتمع منه ! فكيف تأتى لأمثال هؤلاء أن يتسربوا إلى منابع الطهر ومناطق الإصلاح ؟ إنها لا شك غفلة وعبث ومجابهة للأضرار حيث تلتمس المنافع ، وإنها خدعة لها مابعدها من انتكاس الحال وازدياد الفساد وانعكاس القصد وضياع الجهود هدراً ، وإنها لفجيعة أن تلتمس لوجهك طهوراً فإذا به نجس !

وأنا أفهم أن الإنسان قد يلبس بعض الشر والضعف الخلقى ويقترفه وهو مؤمن بالفضيلة محب للصلاح والصالحين يدعو الله أن ينفعه وينقذه بهم وأن يمن عليه بسلوكه مسالكهم ومع ذلك يبتعد عنهم كى لايلوثهم أو يعطلهم أو يؤثر على توجيههم للناس ، ولكننى لا أفهم أن يقترب منهم ويشترك فى إرشاد الناس معهم مع أنه يعلم رأى الناس فيه وقلة بضاعته فى سوق الهدى والتوجيه .

إن المريض بمرض نفسى ينبغى له ألا يزاول التطبيب فيه ، إلا إذا كان له من الشجاعة ما يجعله يقدم نفسه دليلا وحجة على فساد عكس ما ينصح الناس به ، وما يجعله يضرب نفسه مثلا مجسما أمام الجماهير ، يقول بصدقه وصراحته قولا بليغاً فى نفوسهم ؛ لأنه حينئذ يكون كذلك النوع النادر من الأطباء الذين يقدمون أنفسهم قرابين للعلم وفداء للناس بتعريض أجسامهم للأمراض الفتاكة ليخبروها ثم يخبروا الناس عن نتائجها .

ولكنا نجد كثيراً من مرضى النفوس وضعاف الأحلام ، ومثال الأنانية ، لايجدون مجالا لعرض أمراض نفوسهم وضعف أحلامهم وجلوشهرتهم إلا فى جبهات الإصلاح يتطرقون إليها فى جرأة ، ويتدسسون فيها فى خبث واستغلال ، حتى لتبدو للناقد الفاحص كأنها جبهات إفسادلا جبهات إصلاح ! !

وإن السماح لهذا التسرب الخطر هو نوع من الصد عن سبيل الله ، لأن الدرهم الزائف يطرد الدرهم الصحيح من السوق ويجعل طابع التعامل هو الغش والخداع ، ويحمل الجماهير على الشك فى صحة الدعوة الإصلاحية ، بل الشك فى جوهر الفضيلة ذاتها ... وهذا أمر فى غاية الخطورة على أمة تلتمس لنفسها السلاح الوحيد لإنقاذها وإنهاضها ، وهو الإيمان بالقيم الخلقية والعقائد التى تثير أعظم ما فى الطبائع البشرية وتوجهها نحو المجد والقوة والفوز

أجرىَ إلاّ على الله وأمرتُ أن أكونَ منَ المسلمينَ)

ويقول هود لقومه فى الآية (٥١) من سورة هود (يا قومِ لا أسألكمْ عليه أجراً إن أجريَ إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلونَ)

ويقول الله تعالى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الآية (١٠٤) من سورة يوسف (وما تسألهُم عليه من أجرٍ إن هو إلاّ ذكرٌ للعالمينَ)

وهذا الإخلاص هو الوسيلة لنجاح الدعوة ، وجمع الكلمة والثقة بالداعى ، إذ لا مأرب له يشوه دعوته ، ولا غاية له تشكك فى أمره ، وليس كالإخلاص فى نجاح الأمور ، ولهذا عول الدين عليه فيما أتى به من أصول وفروع ، وجعله أساسا لصحتها ، وركنا من الأركان التى تقوم عليها .

وقد آن للمسلمين أن يزيلوا من أذهنهم فكرة المهدى المنتظر وأن يطلبوا مجدداً ينهض بهم فى هذا الزمان ، لأنهم لا يجدونه إلا إذا طلبوه ، وشمروا بحاجتهم إليه ، وقد سبقت الإرهاصات وتوالت البشائر ، والأمل قريب بنجاح الطلب ، وظهور ذلك المجدد

إدارة البلديات العامة

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٤٧ عن توريد عربات رش وقامة مفرد للمجالس .

وتطلب الشروط والمواصفات الخاصة بذلك من الادارة على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما مقابل مبلغ ٢ جنيه للنسخة الواحدة عدا أجرة البريد . ٦٥٧٦

ولعل هـذا الأمر هو السر فى أننا نجد كثيراً من تلك الجبهات الإصلاحية لا تلبث أن تنهض حتى تنهـار ، ولا يلبث رجالها أن يتعارفوا حتى يتناكروا ويختلفوا وتظهـر أعراض اختلافهم وتناكرهم على عيون الأشهاد ، وهذا من طبيعة الأشياء إذ كيف يتأتى أن تجتمع الأضداد والمتناقضات من غير احتراب وشقاق ؟ وأى بذرة أو نواة استطاعت قوانين الحياة والسماء أن تخرج منها نخلة أوشجرة فارعة مثمرة إذا كانت عوامل السوس والفساد قد تسربت إليها وهى فى طور النمو الأول ؟ إن الله تعالى يحافظ على مناطق النمـو فى النبات والحيوان ويلففها بأقمطة ولفائف ويقيم حولها حراساً أيقاظاً تدرأ عنهـا عوامل الفساد وتحفظ فيها عوامل الحياة ولا تسمح لسوسة أو نملة أو جرثومة ضئيـلة أن تتطرق إليها وتزعم أنها من عوامل التكوين والنمو . تلك هى سنة الله القادر العالم الحفيظ النيور على ما يصنع حين يكون المصنوع فى دور الضعف دور النشوء ، حتى إذا قوى واشتد وصار قادراً على احتمال الصراع بين عوامل الحياة وعوامل الفناء تركه يبرز قواه الذاتية وأسراره الخفية فى الحرب الأبدية بين الخير والشر . فلما ذا لا يصنع محبو الإصلاح المخلصون ما يصنع الله ويسترشدون بسننه وقوانينه ؟ أم هم يظنون أنهم قادرون على تبديل سنن الله ما داموا يتكلمون بحذق ومهارة ؟ إن الأمر فى إنشاء جيل على الصلاح ليكون أساساً لأجيال بعده ، أعظم من أن يكتفى فيه بتزاويق الكلام وتحابيره . إنه يلخص فى أمر واحد . عمل مجسم صامت فى جوانب الحياة لا يعلن عنـه أصحابه وإنما يتحدث عنه غيرهم !

وما ينبغى أن يخدعنا الكلام بعد أن وعينا عبرة الأيام التى هى عبرة العمل وحده فى الأمم التى تحب العمل ...

لقد وجـدتُ بعض الملحدين الفاسقين يحسنون القول فى الإيمان أكثر من إحسان المؤمنين الصادقين ...

ووجدت بعض المجرمين يجيدون القول فى احترام العدالة والقوانين أكثر من إجادة الطائعين الخاضعين للنظام ...

ووجدت بعض الضعفاء يعظمون القول فى القوة والسلطة أحسن من الأقوياء المسلّطين ...

ووجدت أعداء الحق والفضيلة والصلاح إذا حملتهم المناسبات على القول فى أضداد ما يقترفون : أتوا بالقول الساحر والبيان الخلاب ، طلباً لتصفيق الجماهير البلهاء ، لا لوجه الله ...

ووجدت الجماهير البلهاء أسرع إليهم وأشد احتفالا بهم من احتفالها بالعاملين الصادقين المحسنين ...

لقد وجدت هذا ... فصرت لا أخدع بالكلام ... وعلمت لماذا كان العمل هو الأمر الوحيد الذى جعله الله ميزان القلوب ومعيار الحساب ... وعلمت السر فى حديث (محمد) سيد المصلحين المخلصين — صلى الله عليـه وسلم — فى وصف الدجالين الذين يدسّون أفواههم فى دعوات الإصلاح كما تدس الخنازير أفواهها فى وضوء المتطهرين المسلمين : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق[1] أقتاب[2] بطنه فيدور كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان : مالك ! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ ! فيقول : بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » .

عبد المنعم خلاف

(١)، (٢) تندلق أقتاب بطنه : تسقط أمعاؤه من بطنه . الاندلاق الخروج والأقتاب الأمعاء .

مؤلفات عجازية:

رجالات الحجاز

شعر رائع تطالع بين صحائفه تاريخ المجد والبطولة

قيمته ٢٠ قرشاً

أحـــلام الربيع

شعر الهوى والشباب

قيمته ١٠ قروش

أطلبهما من مكتبة عيسى البابى الحلبى

ومكتبة نجيب الخانجى بالقاهرة